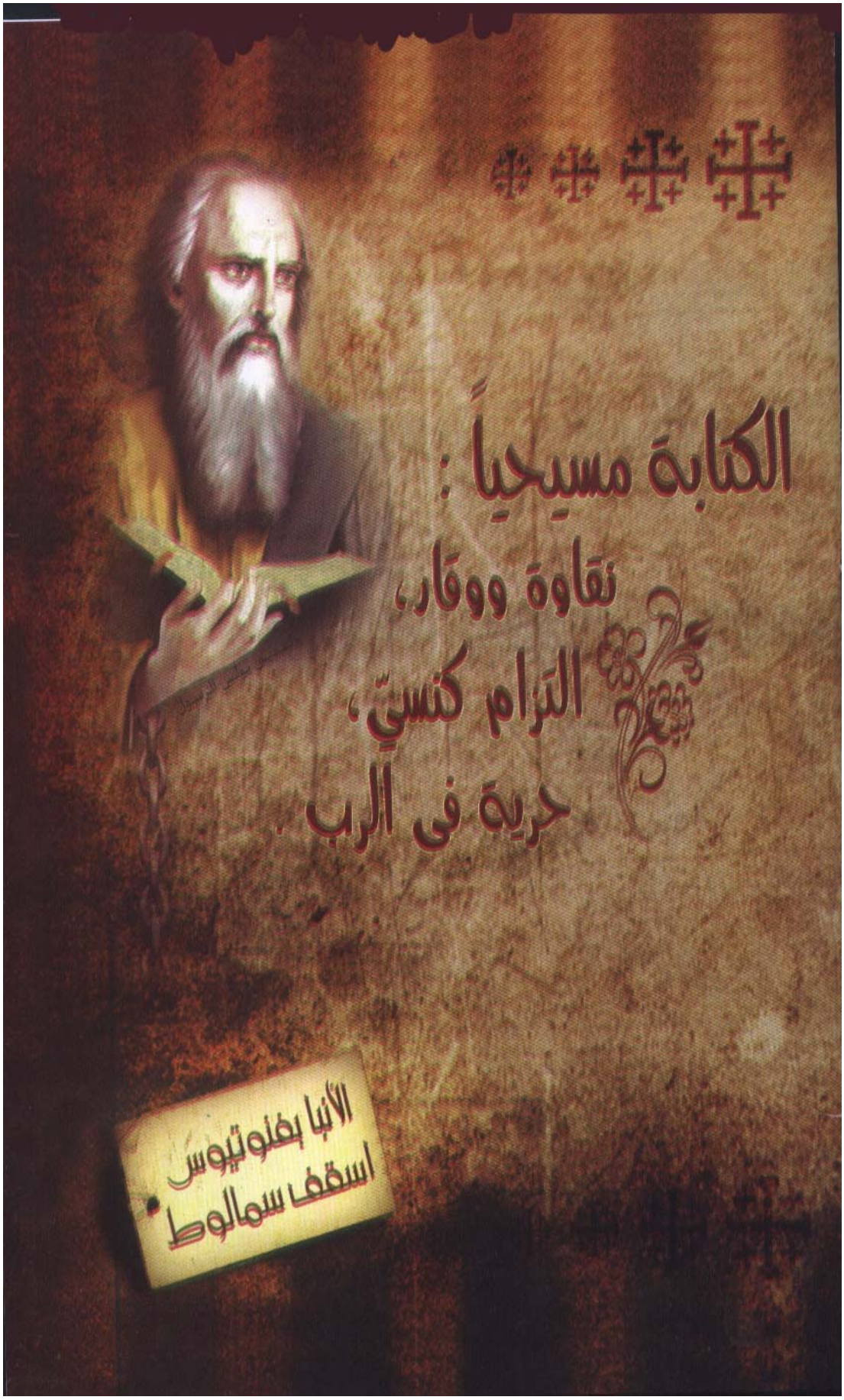
الكنابة مسيحياً :
نقاوة ووقار،
التزام كنسيّ،
حرية فى الرب .
الأنبا بفنوتيوس
أسقف سمالوط

الكتابة مسيحياً :
نقاوة ووقار ،
التزام كنسيّ ،
حرية في الرب .

الانبا بفنوتيوس
اسقف سمالوط

اسم الكتاب :

الكتابة مسيحياً : نقاوة ووقار ، التزام كنسىّ ، حرية فى الرب .

إعداد : الانبا بفنوتيوس - اسقف سمالوط

الناشر : مطرانية سمالوط

الطبعة : الاولى

المطبعة : الشركة الرباعية للصناعات " المرجان للطباعة "

رقم الايداع : ٢٨/١٦٨٣٩

الترقيم الدولى :

مطرانية سمالوط : ش الجمهورية - مدينة سمالوط - مصر .

ت ، ف : ٨٦/٧٧١١٧١١ . الى ٠٨٦/٧٧١١٧١٦

محمول : ٠١٢٧٣٣٣٩٢٠ - ٠١٢٧٣٣٣٩٤٠ - ٠١٢٧٣٣٣٩٥٠

البريد الالكترونى : samdiocese@yahoo.com

الموقع الالكترونى : www.samaloutdiocese.com

صاحب الغبطة والقداسة البابا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

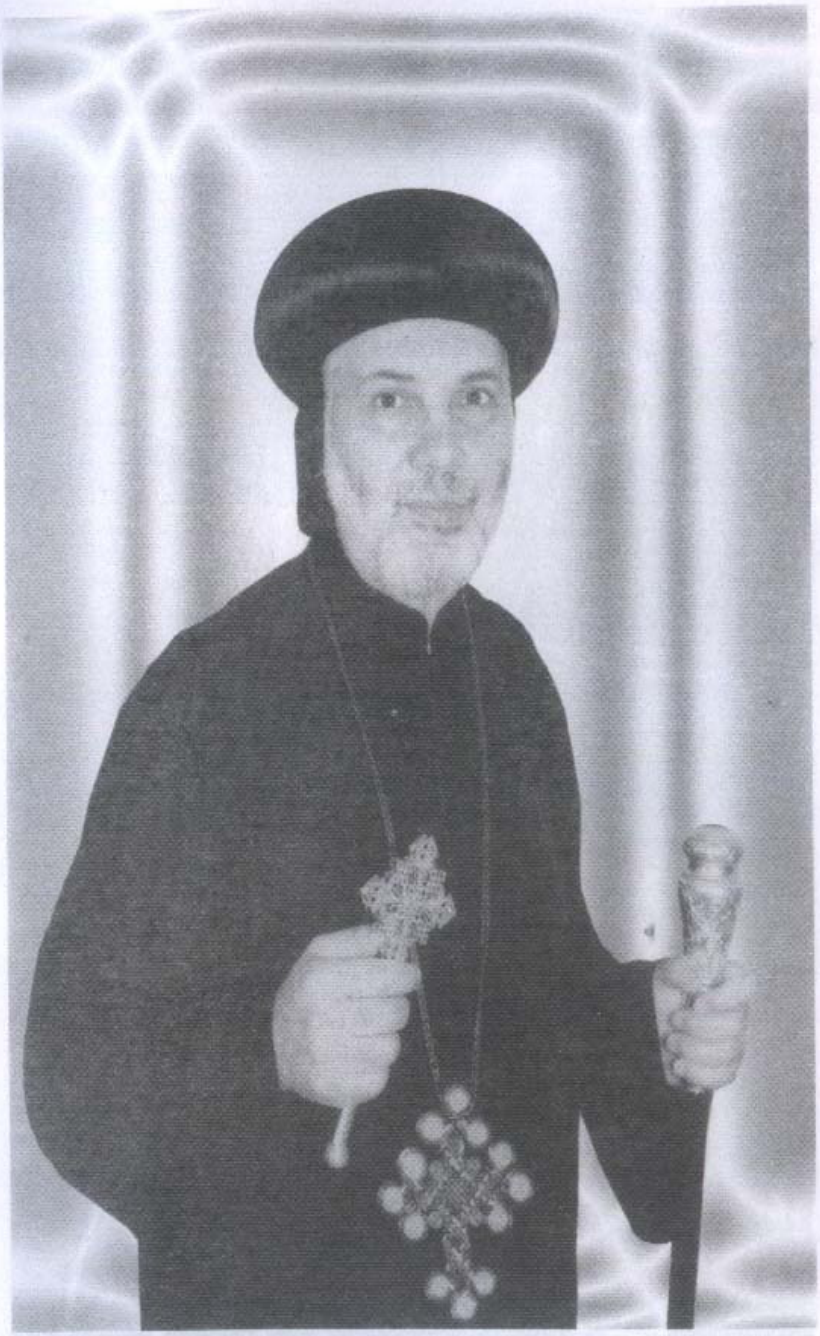

حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل
الأنبا بفنوتيوس - أسقف سمالوط

مقدمة :

لقد أعطى الله شعبه في القديم بموسى ناموساً . أما نحن فقبلنا نعمة فوق نعمة : قبلنا الروح القدس والقوة ، قبلنا التبني والحق . قبلنا سلاماً مع الله وعربون الميراث الأبدي ، قبلنا ونقبل غفرانا وتجديداً وبنياناً لإنساننا الروحي الجديد.

بصفة عامة بوركنا بكل بركة روحية في السماويات(١) ، لذلك فمسيحيتنا التي نلناها من الله ليست فقط مجالاً فكرياً نجول فيه حيثما شئنا ، ولا هي مجرد أنماط سلوكية نتدرب عليها ونتقن ممارستها ، ولا هي فقط مجموعة مفاهيم معينة نقتنع بها وندافع عنها ، إنما هي حياة إلهية تظهر فينا كل حين أو بتعبير ق.بولس الرسول **"خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ"** (٢كو ٥) ، فعندما أفكر أو أتكلم : أفعل ذلك باعتباري خليقة جديدة ، وعندما أتصرف داخل بيتي أو خارجه أتصرف باعتباري خليقة جديدة وهكذا عندما أقف في حضرة الله مصلياً وعابداً .

بصفة عامة إن كل ما يظهر فيّ قولاً أو عملاً إنما يكون من ثمار ثباتي كغصن حيّ في الكرمة الحقيقية التي لا تنتج

١- (اف ١ :٣).

غير "ثمر الروح" العامل في حياتي ، فمسيحيتي ليست مجموعة **"نقرات"** لا صله لبعضها ببعض بل هي حياة جديدة كاملة غير منقسمة ، ولأنها كذلك فإن كل جانب فيها مهما بدا صغيراً يشهد عنها ويُظهرها بصورة واضحة ومنها : مواقفي تجاه الأحباء والأعداء ، مواقفي أمام الظروف الصعبة والبسيطة .تعبيري عن فرحى وحزني ، صلواتى ، اهتماماتي ومخاوفي ، جميعها تشهد عن طبيعة حياتي ، وبالطبع كلامي وتعبيراتي هي أول ما تشهد عنى . فبكلمة واحدة "شبولت" (معناها سنبلة أو مجرى ماء) استطاع الجلعاديون خلالها أن يميزوا بين عابري الأردن هل هم افراييمون أم جلعاديين ، فمن نطقها "سبولت" عَرِفُوا أنه افرايمى ومن خلالها قتلوا منهم فى ذلك اليوم أثنى عشر ألف افرايمى (قض ١٢) ، وامرأة جارية كانت وسط العبيد تصطلي حين جاء بطرس وجلس بينهم استطاعت أن تعرف مَنْ هو بطرس: انه من تلاميذ المسيح . وذلك فقط عندما تكلم فقالت **"أَنْتَ أَيْضاً مِنْهُمْ فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ"** (مت ٢٦ : ٧٣) .

إلهنا الديان العادل أعلن هذا : ان ما نقوله يعبر تماماً

عنا فقال أن **"مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الفَمْ .الإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي القَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ"**، لذلك أكد لنا أن كل كلمة بطالة نعطى **"عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ"** (مت ١٢: ٣٤ - ٣٦).

من أجل هذا أضع بين يديك أيها الواعظ المبارك كاتِباً كنت أو متكلماً هذه القيم التي ينبغي ألا نغفلها كمسيحيين عندما نكتب أو نتكلم ،،،

تذكار عيد التجلى المجيد

١٣ مسرى ١٧٢٤ش . ١٩ اغسطس ٢٠٠٨م

الأنبا بفنوتيوس

اسقف سمالوط

الباب الأول

النقاوة والوقار في التعليم

"أَمَّا أَنْتَ فَتَكَلَّمْ بِمَا يَلِيقُ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ .... مُقَدِّماً نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ ،وَمُقَدِّماً فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً وَوَقَاراً وَإِخْلاَصاً وَكَلاَماً صَحِيحاً غَيْرَ مَلُومٍ" (تى ٢: ١ ،٧)

في العهد القديم كان كتبة اليهود يُراعون النقاوة مراعاة شديدة ، فعندما كانوا يتهيأون لنسخ وكتابة أي جزء من الوحي الإلهي كان لابد أن يغتسلوا ويتطهروا ، وعند كتابة اسم **"الله"** كانوا يكتبون ذلك بقلم خاص ، وهم واقفون وفى درجة عالية من الوقار والنقاوة الجسدية .

وفى حديث الرسول بولس الوارد هنا يُحدد لتيطس ما ينبغي أن يكون عليه كلامنا كمؤمنين " **بِمَا يَلِيقُ .... نَقَاوَةً وَوَقَاراً وَإِخْلاَصاً** ... " وإن كان هناك جدلاً بين المتخصصين فيما قصد الرسول هنا بكلمة **"التعليم"** ؟ وهل المقصود بها : مضمون التعليم أم عملية التعليم وطريقته ، إلا أن

المعنى الأكثر قبولاً هو عملية التعليم كما يُفهم من اللفظة (١) Doctrine، فإن كان يلزم أن تكون مادة **"التَّعْلِيمِ ... كَلاَماً صَحِيحاً غَيْرَ مَلُوم** " وتعبيراته سليمة أمينة تُقدِم الحق المسيحي بوضوح لاً عبث فيه ، إلا أن أسلوب التعليم أيضا يجب أن لا تشوبه شائبة ، هذا ما تعنيه كلمة **"نقاوة"** أما كلمة **"وقار"** فهي تدعو إلى الجدية في القول والأسلوب حتى لا يدخل فيه **"الهَزْلُ الَّذِى لاَ يَلِيقُ"** (اف ٥ :٤) بل بحسب تعبير رسالة كولوسى (٤ : ٦) يكون **"كلامنا كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ مُصْلَحاً بِمِلْحٍ"** .

فالأمانة للحق ليست مبرراً للغطرسة ، بل بالعكس نُقدم الحق المسيحي بما يليق به من وداعة ولطف ، ونضع الخمر الجديدة في زقاق جديدة تليقُ بها فيكون كلامنا كل حين **"بنعمة** "وكلمة نعمة معناها اقرب إلى الوداعة واللطف والرقة في التعامل مع الآخرين وأن يكون مملحاً **"بملح** " وهذا تعبير مجازى يفهمه ق.بولس وقارئ رسائله: بمعنى أن لا يكون الكلام ممل ، فإن كنا ملتزمين بالشهادة الحية المفعمة بالحكمة عن الحق الإلهي الذي فينا ، إلا أن كل هذا ينبغي أن يكون بلطف ورقة ونقاوة .

---

(١) دونالد جوثرى : تفسيره لرسالة تيطس.

وهذا ما قدمه القديس بطرس الرسول فقال "... **إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ**"(١ بط ٤ : ١١) ، والدعوة هنا ليست فقط أن نتكلم بأقوال الله فيكون كلامنا مُجملاً بآيات الكتاب المقدس ، بل تكون كلماتنا كأنها أقوال الله نفسه(١) وقورة رزينة جادة صادقة مفعمة بالحيوية والتأثير ، وقد أكد ق. بطرس على هذا المعنى عندما قال " **أَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ وَلاَ تَضْطَرِبُوا ،بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ**" (١بط ٣ : ١٤ ،١٥) بوداعة ولياقة في تعاملكم مع الآخرين وبخوف ومهابة في تعاملكم مع الله.

وفى نفس الرسالة الى تيطس (تى ٢: ١٠) يدعو الرسول إلى شئ عجيب ، يدعو العبيد أن "**يُزَيِّنُوا تَعْلِيمَ مُخَلِّصِنَا اللهِ** " وإن دعي العبيد إلى هذا فهي إذن دعوة للجميع ، يزينوا هنا جاءت kosmeo ، وهذه اللفظة تستخدم في ترتيب الجواهر حتى يبدو جمالها أروع وأكمل.

بناءً عليه نستطيع أن نؤكد على ضرورة أن يُقدَم الحق الإلهي بما يليق به من نقاوة ووقار، هذا المعنى لمع بوضوح شديد

---

(١) الآن .م. ستبز تفسيره رسالة بطرس الأولى.

ليس فقط داخل عبارات الوحي الإلهي إنما أيضا في حياة الأبرار والقديسين ، وهنا أضع أمام القارئ أحد النصوص الآبائية الشهيرة للقديس كيرلس الكبير واترك للقارئ أن يستخلص معي هذا الحق المقدس:-

الرسالة الثامنة للقديس كيرلس الكبير(١):

[من كيرلس إلى أولئك الذين اتهموه كتابة انه أثار عثرات عندما سمع أن التعليم الكفرى لنسطوريوس يصنع غزوات (أضرار) خطيرة .

١- حيث أن تقواكم قد كتبتم لي أن نسطوريوس التقى جدا ، قد حزن بسبب الرسالة التي كتبتها للرهبان ، راغباً أن أوقف (أُراضى) الذين تعثروا من الإشاعة. وأقول هذا عن ضرورة ، إنها لم تنشأ منا بقدر ما نشأت من تقواه . أنا شرحت تعليم الإيمان الصحيح لأولئك الذين تعثروا بتفسيراته ، وهو نفسه سمح في الكنيسة الجامعة والتي هي للأرثوذكسيين ، للأسقف الطيب دوروثيؤس أن يقول جهارا "إن كان أحد يقول أن القديسة مريم هي والدة الإله فليكن محروماً" وحينما سمع فهو لم يصمت فقط حينما تكلم دوروثيؤس ، بل

---

(١)الرسالة عن نسطور بطريرك القسطنطينية قبل الحكم عليه وقطعه من شركة الكنيسة المقدسة.

ادخله في الحال إلى الشركة السرية وجعله شريكا (في الأسرار).

٢- انظر إذن إننا نحن قد حُرمنا في حضوره ، إن لم نقل منه هو ، لأن دوروثيؤس لم يكن ليتكلم بمثل هذه الأمور في الكنيسة ضد إرادة نسطوريوس ، والآن فإننا نحن الأحياء الأساقفة في كل المسكونة ، وآباؤنا الذين رحلوا إلى الله ، جميعنا قد حُرمنا. فما الذي منعنا حينئذ أيضا من الكتابة ضد كلماته ، فنقول "كل من لا يقول أن مريم هي والدة الإله :فليكن محروماً؟" ولكنني لم افعل هذا حتى الآن بسببه هو ، ذلك لكي لا يقول البعض أن أسقف الإسكندرية قد حَرَمَه . أي المجمع المصري ، فلو علم الأساقفة الأتقياء جدا في كل الشرق والغرب انهم جميعهم قد حُرِمُوا (لأنهم جميعا يقولون ويعترفون أن القديسة مريم هي والدةالإله) فكيف سيكون موقفهم؟ أو كيف لا يحزنون جميعهم ، إن لم يكن من أجل أنفسهم ، فعلى آية حال لأجل الآباء القديسين الذين نجد في كتاباتهم دائما أن القديسة العذراء مريم تسمى والدة الإله ، فلو لم تكن الحصيلة تبدو ثقيلة ، لكنت قد أرسلت إليك كتباً كثيرة لآباء قديسين كثيرين ، والتي يمكن أن نجد فيها ليس مرة واحدة بل كثيراً جداً التعبير المألوف الذي به كانوا يعترفون ، وهو أن القديسة العذراء مريم هي والدة الإله].

هذه الرسالة كتبها ق.كيرلس الكبير في أجواء شديدة الحساسية ، حيث أن مجمع أفسس المسكونى لم يكن قد اجتمع بعد ، ولم تكن الرؤية الإيمانية لدي الكنائس قد استقرت ، وبتعبيرات ق.كيرلس نفسه في رسائله كانت الأحوال سيئة جداً :-

[-الشيطان الآن يقلب كل شئ رأساً على عقب ١١: ١

- كل الكنائس في الإمبراطورية الرومانية قد تعثرت ....

- والجميع يتسألون ما نوع هذا التعليم الجديد الذي يقتحم الكنائس ٩: ١

- والكتابات تنشر في كل مكان مملوءة تجديفاً ٦: ١

- وحاملي رسائل نسطور اقتربوا من رفض الاعتراف بأن المسيح هو الله ، بل يقولون أنه بالحرى أداة ووسيلة للاهوت ومجرد إنسان حامل الله ٢: ١] .

والآن بعد أن قرأنا وسمعنا كلمات أحد أبطال الإيمان في كنيستنا ق.كيرلس البطريرك الـ٢٤ أرجو أن تلاحظوا معي ما يأتي :-

قلب شديدة في التمسك بالله وكنيسته ويرفض كل الرفض أن يُقطع من المسيح والكنيسة مثله مثل القديس اغاثون الكبير (١) رغم هذا لم يضطرب أو يغير من نقاوة عباراته .

٤- كان نسطور مخطئاً تماماً وخارجاً عن الإيمان الكنسي السليم ، وتعاليمه [مملوءة تجديفاً]٦: ١ إلا أنه لم يتعجل بتوقيع الحرمان عليه ، بل كان يراه أمراً ضرورياً أن يمد له يدي المعونة معتبراً أنه ومن معه قد انزلقوا ، ودوره أن يقيمهم [كأخوة ساقطين ١١: ١] وهذا ما يُعلنه الكتاب المقدس عن الله نفسه ، فإن الله لا يتعجل دينونة الخاطئ **"لأَنَّ أَرْضاً قَدْ شَرِبَتِ الْمَطَرَ الآتِي عَلَيْهَا مِرَاراً كَثِيرَةً وَأَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ اللهِ. وَلكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكاً وَحَسَكاً فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ الَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ"** (عب٦: ٦-٨) ، ونلاحظ الاتى: أن الارض التي **"أَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً ... تَنَالُ بَرَكَةً" (حاضرة الآن).**

---

(١) قيل عن القديس الكبير الأنبا أغاثون :
[أن أناساً مضوا إليه لما سمعوا بعظم إفرازه وكثرة دعته . فأرادوا أن يجربوه فقالوا له : أأنت هو أغاثون الذي نسمع عنك أنك متعظم ؟ فقال : نعم الأمر هو كذلك كما تقولون . فقالوا له : أأنت أغاثون المهذار المحتال ؟ قال لهم : نعم أنا هو . قالوا له : أأنت أغاثون المهرطق ؟ فأجاب : حاشا وكلا : أنى لست مهرطقاً فسألوه قائلين : لماذا احتملت جميع ما قلناه لك ولم تحتمل هذه الكلمة ؟ فأجابهم قائلاً : أن جميع ما تكلمتم به علىّ قد اعتبرته لنفسي ربحاً ومنفعة إلا الهرطقة لأنها بعد عن الله . وأنا لا أشاء البعد عنه . فلما سمعوا عجبوا من إفرازه ومضوا منتفعين]. بستان الرهبان

أما التي **"أَخْرَجَتْ شَوْكاً"** لم يقل تنال لعنة بل **"قَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ"**.

ولم تُلعن سريعاً بل كقول ذهبي الفم [نهايتها الهلاك ولم تهلك الآن].

٥- تحرك ق.كيرلس للكتابة فقط من أجل غيرته على مجد المسيح وإيمان الآباء القديسين وليس لأجل أي اعتبارات شخصيه نفسانية فقد قال [أما بالنسبة لي فإني لا أُعطِى اعتباراً للألم والإهانة ولا للإساءات الكثيرة التي يوجهها إلىَّ بعض الناس ٩: ٢].

٦- لكن لاشك أن ق.كيرلس دافع عن الحق بكل قوة وثبات ووضوح شديد ولم يجامل أحداً في هذا ولكن عندما أستمر نسطور في موقفه : كشف بوضوح أيضاً ما هو إيمان نسطور الذي ينادى به ، وما هو إيمان الكنيسة ودافع ببسالة شديدة عن إيمان الكنيسة .

إن دقة التعبيرات هذه ونقاوتها هي ما أُمِرَّنا به من الله :-

فالرسول بولس يوصينا قائلاً :**"لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ** =SAPROS (فاسدة أو عديمة القيمة)(١) **مِنْ أَفْوَاهِكُمْ بَلْ**

(١) فرنسيس فولكس: في تعليقه على رسالة أفسس .

كُلُّ مَا كَانَ صَالِحاً لِلبُنْيَانِ حَسَبَ الْحَاجَةِ كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ " (أف٤: ٢٩).

هنا الرسول بولس يضع أمامنا أربع نصائح نُقنن بهم كلامنا : -

١- **"كل ما هو صالحاً** "(عكس فاسداً).

٢-**"للبنيان"** أي يستعمل في البنيان حسب ترجمة (AV).

٣- **"حسب الحاجة "** تُعنى أنها كلمة تناسب الموقف تماماً أو كما صورها سليمان الحكيم قائلاً **"تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا"(أم٢٥: ١١)**.

٤- **" كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ"** تكون مفيدة وبناءة ككلمات النعمة الخارجة من فم السيد نفسه "(لو٤: ٢٢, كو٤: ٦).

- **السيد المسيح** في الموعظة على الجبل قال **"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ :رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ،وَمَنْ قَالَ:يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ"** (متى٥: ٢١ ,٢٢) إن هذا القانون الذي وضعه السيد يشمل

الأقوال التي نقولها بأفواهنا في أحاديثنا العامة والخاصة كما يشمل الأقوال التي ننشرها مكتوبة ، بل أن ضرورة التدقيق على ما نكتبه ينبغي أن يكون أشد ، لأن ما نقوله فماً لأذن يكون محدوداً(مهما كبرت دائرة المستمعين للكلام الشفوي)، وذلك بالمقارنة بانتشار الكلام المكتوب ، هذا بالإضافة إلى أن الكلام بالفم يمكن أن يؤول تأويلاً حسناً من السامعين حسنى النية ، وبصفة عامه فإن ما يُقال بالفم فقط قابل للنسيان ، أما الكلام المدون في الكتب فإن نسيته أنا فلن ينساه اللاحقون، لذلك حسنا قال أحدهم "إذا كنت حريصاً مرة في تداول النار فأحرص عشر مرات على تداول الكلمات " .

- **القديس أكليمندس السكندري** أفرد بابا كاملاً في كتابه المربى ليصف الحديث المسيحي النقي وهو يقول في هذا [يجب علينا أن نتجنب تماماً الحديث القذر ، كما يجب أن نخرس الأفواه التي تنطق بمثل هذا ....ومثل هذا الكلام الوضيع يدل على أن قائله غير نقي ، بل هو أقرب إلى الوثني، عابد الصنم ، غير مهذب .. ولا هو منضبط بل منفلت العيار].

ويقول أيضاً [لأن الابن الورع المتواضع لم يحتمل النظر إلى انكشاف عورة الرجل البار(نوح) ، وسترت الفضيلة ما عراه السُكْر ، ذلك المشهد الذي كان مظهراً لحمق الجهالة وتجاوزها .

كما أنه ليس بأقل من ذلك أهمية أن نحفظ أنفسنا من حديث الافتراء والأخبار الكاذبة . تلك التي لا يجب أن تجد أذاناً صاغية من أولئك الذي آمنوا بالمسيح يسوع] (١).

- **القديس يعقوب الرسول** حذر كثيراً من مخاطر اللسان، وأقتطف هنا فقرة واحدة من عباراته العديدة فى رسالته: "**هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ ,فَاللِّسَانُ نَارٌ ، عَالَمُ الإِثْمِ . هكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ الَّذِي يُدَنِّسُ الْجَسَمَ كُلَّهُ وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ**" (يع٣: ٥, ٦) في هذه العبارات يصور يعقوب الرسول اللسان (بالطبع اللسان الشرير) بالنار المشتعلة في الهشيم، ومنظر النار هذه منظر مألوف في المجتمع اليهودي الذي أعتاد أن "**يَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ**" (متى٣: ١٢) ،كما انه منظر مألوف في الكتابات النبوية (أش٩ : ١٨ . مز٨٣ : ١٣. ١٤ , زكر١٢: ٦).

وتصوير خطورة الكلام الرديء بالنار , تُبرز معنيين :-

١- إن الضرر الذي يحدثه اللسان وسرعة انتشاره هو كالنار ، وقديماً قالوا : ثلاثة أشياء لا يمكن إرجاعها : السهم المقذوف والكلمة المقولة والفرصة الضائعة.

---

(١) أكليمندس الاسكندرى : المربى جزء ٢ فصل ٦.

٢- كما أنه يصعب التحكم في النار المشتعلة كذلك يصعب التحكم في أثار الكلام الضار.

"وهو كنار ...يُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ" أي الكون كله **"كما أنه يُضرم من جهنم"** أي أنها ليست فقط نار بسيطة بل نار شيطانية مدمرة .

كما يصفه ق . يعقوب الرسول ب**"عَالَمُ الإِثْمِ"** والكلمة عالم KOSMOS هنا تشير إما إلى معناها الحرفي فيكون معناها زينة الأثم ، وهى نفس اللفظة الواردة في (١بط٣:٣) وبذلك يكون معناها أن الكلام البطال له دور في تزيين الشر وجعله جذاباً ، أو إلى المعنى الاصطلاحي فالكلمة KOSMOS تستخدم عن العالم ، وهى في الغالب تصف العالم بعيداً عن الله . العالم المتمرد على الله فاللسان بهذا المعنى **"عَالَمُ الإِثْمِ"** أي مجال الإثم الواسع الانتشار وسبب انتشاره أيضاً لأنه يُزين الباطل .

والسؤال المطروح الآن :

ما هي النقاوة المطلوبة من مُقدِّمى التعليم الكنسيّ ؟

إنها ليست فقط نقاوة ألفاظ وتعبيرات ، بل نقاوة عامة نقاوة حياة ، إذا أختفت هذه النقاوة من حياتنا حتى لو كانت ألفاظنا وعباراتنا دقيقة حينئذ يكون الأمر شيئاً مزعجاً

، السيد نفسه انزعج لهذا وقال **"يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ"**(مت ١٢: ٣٤).

هذه النقاوة الشاملة لسلوكنا وأفكارنا وتعبيراتنا الإيمانية : حدد الكتاب المقدس والآباء معناها في لفظة شائعة وهى لفظة "التقوى" (ευσβεια) فالرسول بولس قدم نفسه لتلميذه تيطس بالقول **"بُولُسُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِيمَانِ مُخْتَارِي اللهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ حَسَبُ التَّقْوَى"** (تى ١ : ١) وفى حديثه مع تلميذه تيموثاوس قال **"إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيماً آخَرَ وَلاَ يُوَافِقُ كَلِمَاتِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الصَّحِيحَةَ وَالتَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ حَسَبُ التَّقْوَى فَقَدْ تَصَلَّفَ"** (١تى ٦ :٣) فلسنا فقط ندعو بتقوى حسب الحق ، أي تقوى تقوم على أصول كتابية ، بل أيضا الحق نفسه يقوم على التقوى .

العلامة اوريجانوس نادى بأن [معرفة الله الحقيقية والتقوى ليستا لفظتين قريبتين من بعضهما فقط ، بل أن كلاً منهما متوقف على الآخر ، فكلما عُرف الله بحق وفقاً لطبيعته كلما زاد مستوى التقوى ، وكلما زاد مستوى التقوى كلما زادت إمكانية معرفتنا بالله بصورة تقوية تليق بطبيعة الله] .

ق.اثناسيوس الرسولى كان يُصَّر دائما على أن إطاعة الإيمان تؤدى إلى أسلوب شرعي في التفكير والتحدث عن الله ، وذلك بفضل الاتزان الداخلي الذي يتولد نتيجة عبادة الله ، فالمطلوب دائما هو انضباط خشوعي وترتيب للعقل .

وبحسب تعبير توماس.ف. ثورانس [أن الإيمان والتقوى والفهم والعبادة ألفاظ مضفرة معاً نتيجة التأثير الخّلاق للقناعات الإنجيلية التي انطبعت في ذهن الكنيسة][1] ، في مجمع نيقية انزعج الآباء من عبارات أريوس لأنها كانت تتسم بعدم التقوى وعدم الورع ἀσεβεια ، وقد وصف القديس اثناسيوس عبارات الاريوسيين المنحرفة إنها عديمة التقوى [أما هو فكان يتعين عليه أن يطهر نفسه بالتفكير في عكس هذا الاتجاه وأن يتمسك بذهن نقى τήν της ευσεβέιας διανοιαν]

---

(١) توماس .ف.ثورانس :الإيمان بالثالوث في الفكر اللاهوتي الكتابى للكنسية الجامعة في القرون الأولي .

الباب الثاني

الالتزام الكنسيّ

"أَكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ اعْكُفْ عَلَى ذلِكَ ...عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ" (٢تى ٤ :٢).

عند تكريس أحد الخدام ليكون كاهناً في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . وبعد قضاء فترة الخلوة يرجع إلى كنيسته ليباشر مهامه الكهنوتية .وفى يوم رجوعه من الخلوة يقام له احتفال طقسى يسمى "طقس استقبال الكاهن الجديد"(١) وهذا الاحتفال الطقسى ككل احتفالات الكنيسة احتفال تعبدي لله . فيه يترآى الكاهن والجماعة المحتفلة به بصلاة اقرب ما تكون إلى صلاة عشية .وبعد الإبنجيل والعظة يطوف الكاهن حول المذبح ثلاث دورات وثلاث أخرى في صحن الكنيسة (على مثال دورة القيامة) يكون الكاهن أثنائها حاملاً الإنجيل المقدس ملفوفاً بستر ابيض . بينما يرتل المصلون لحن نى اثنوس تيرو ....

---

(١) المتنبح أنبا بيمن أسقف ملوى والقمص يوسف اسعد : الكاهن القبطي .

وهذا الطقس مأخوذ عن مخطوطة بمكتبة البطريركية القديمة بالازبكية للبابا غبريال الخامس البطريرك الـ (٨٨) (١٤٠٩ - ١٤٢٧)م .

دورة عيد القيامة هي نوع من الإعلان الفَرِح بقيامة السيد أما دورة الكاهن الجديد حاملاً الإنجيل المقدس فهي نوع من التعهد والالتزام المُعلَن أمام الكنيسة كلها، التزام بأن يقدم للمؤمنين دائماً الحق الإلهي الموجود في الإنجيل المقدس،لا أفكاره الخاصة .

وفى النصيحة الرسولية " **أَكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ اعْكُفْ عَلَى ذلِكَ ..عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ** " (٢تى ٤ :٢) المقدمة من ق.بولس لتيموثاوس يدعوه ليس فقط أن يصغي للكلمة بانتباه ويعيها ،ولا أن يؤمن بها فقط ويخضع لمطالبها : بل أن يكرز بها . ويعكف على ذلك . والكلمة "يكرز" هنا تعنى أن ينادى بها كما يفعل المنادى في السوق (١) kerysso أي أن يرفع صوته منادياً دون خوف أو خجل ، بل يطالبه أن :

"**يعكف على ذلك**" وهذه تعنى حرفياً" قف مستعداً" ، " كن جاهزاً" فهي دعوة للإصرار والمثابرة على هذا العمل.

لم يكن ق.تيموثاوس في حاجة أن يشرح له ق. بولس ماذا قصد بلفظة الكلمة " **أَكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ**" (٢تى ٤ :٢) فهي في نظره صلب التعليم المسيحي الذي أودعه بولس إياه لكي

---

(١) جون ستوت : احفظ الوديعة .

يودعه بدوره إلى آخرين **"أَوْدِعْهُ أُنَاساً أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ"** (٢تى ٢: ٢) ،وهى مرادفه لكلمة الوديعه **"احْفَظِ الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ"** (٢تى ١ : ١٤) كما أنها تعادل **"التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ"** (٢ تى ٤ : ٣) ،والحق "فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ **الْحَقِّ**" (٢تى ٤:٤). والإيمان "أَكْمَلْتُ السَّعْيَ ، حَفِظْتُ **الإِيمَانَ**" (٢تى ٤ :٧). وهنا يحدد ق. بولس كما حددت الكنيسة بطقوسها مسئوليتنا في أن ننقل التعليم المسيحي كما سُلم لنا ،لا أن نخترع تعاليم أخرى، وأن نكرز بما قبلناه من المسيح والكنيسة لا شئ آخر.

لذلك فالكتابة والتعليم الكنسي تحتاج إلى قدر كبير من التدقيق والالتزام بالحق الإلهي ،لأن الكتابة بصفة عامة وإن كانت فنّاً من الفنون : كالرسم ، الشعر ، الموسيقى ، إلا أنها تتميز عن باقي الفنون بقدرتها على الإفصاح عن المعنى وتحديده ، والمعنى وحده هو الذي يربط كلماتنا ويجعل منها وحدة واحدة ،وبغيره تصبح الكلمات مجرد أصوات أو خطوط من حبر على ورق. الكاتب يستطيع أن يقودك إلى ما يريد : إذا ما وصف لك كوخاً يستطيع أن يطلعك من كلماته على معاني الظلم الاجتماعي والفقر وأن يثير بذلك حميتك ضدهما.

أما الرسام بتعبير جان بول سارتر(١) فهو [ابكم] يقدم لك كوخاً فحسب ولك حرية تأويله بما تشاء.

ولأن هدف الكتابة التواصل مع من نرغب في أن نتصل بهم . فيجب أن يحدد الكاتب ما غايته من الكتابة وفى أي مجال يطلق لنفسه العنان في شرحه . وأي المعاني يريد أن يصل بها إلى قارئيه فليست غاية الكاتب التأمل العقلي . لأن التأمل والنظر العقلي ميدانهما الصمت . أما الكاتب فغايته الاتصال بالآخرين والإفضاء بما يرغب في أن يُعلنه لهم وما توصل إليه من نتائج .

لذلك يلزم للكاتب أن يحدد هدفه الذي يكتُب لأجله ، كما يحدد المعاني التي يريد إبرازها ، ثم ينسج الألفاظ والعبارات المناسبة لتوضيح غايته وشرح معانيه وليس العكس أن يسرد ألفاظ وعبارات (بدون معنى أو هدف) ومن ثم يتوه منه الغرض من الكتابه .

- المعنى والهدف دائما قبل الألفاظ والكلمات . فالكلمات في ذاتها ليست شيئاً بل تقدم دلالة على الأشياء .لذلك

---

(١) جان بول سارتر : ما الأدب؟

فالمسألة التي توضع في الاعتبار ليس ما إذا كانت الكلمات تروق أو لا تروق في ذاتها . بل إذا ما كانت تدل دلالة واضحة وصحيحة على بعض الأشياء والمبادئ أم لا . أحياناً كثيرة تلمع في أذهاننا أشياء تعلمناها من آخرين ورغم أننا نذكر المعنى واضحاً في أذهاننا إلا أننا لا نذكر كلمة واحدة من الكلمات التي تعلمنا بواسطتها ، ذلك لأن الكلمات ليست لها قيمة في ذاتها بل فيما توصله إلينا ، وهذا ما يدعو الكاتب الكنسي أن يركز على المعنى اكثر من تركيزه على الكلمات .

هذا المعنى اهتم به اهتماماً بارزاً آباء الكنيسة وهذه مقتطفات من تعاليمهم :

+ القديس ايريناؤس في كتابه ضد الهراطقة أورد تشبيهين :-

١- [صنع فنان موهوب صورة جميلة لأحد الملوك من الجواهر الثمينة . ولكن شخصاً آخر فك هذه الأحجار الكريمة واعاد ترتيبها بأسلوب آخر ليقدم صورة كلب أو ثعلب . ثم زعم أن هذه الصورة هي الصورة الأصلية التي صنعها الفنان الأول وتعلل أن الحجارة أو الفسيفساء psiphides أصلية . والحق أن

التعليم الأصلي قد تهدم وضاع نموذج الإنسان الموضوع(١)].

وقد اعترف ايريناؤس أن كلمات الهراطقة وتعبيراتهم وأمثالهم وأفعالهم أصلية لكن قياسهم وتصميمهم Hypothesis كيفي وخاطئ.

٢- كما قدم تشبيهاً آخر، كان في أيامه كتابات متداولة مختارة من شعر "هوميروس" لكنها استخدمت جزافاً وبعيدة عن سياقها، وأعيد ترتيبها بشكل كيفي، فرغم أن الأبيات الشعرية أصلية لهوميروس لكن القصة الجديدة التي نسجها الكُتّاب الاخرون لا علاقة لها بهوميروس، هكذا علمنا القديس ايريناؤس أن إبراز الحق الإلهي هو الذي ينبغي أن نتمسك به، وأن لا ننخدع بالألفاظ والكلمات.

+القديس ايلاريون :

له تعبير دقيق وجرئ إذ قال [الكتاب المقدس ليس بقراءته بل بفهمه] وتعبير ايلاريون هذا كشف كثيراً من زيف التعاليم الغير سليمة، والتي يعتمد فيها أصحابها على نصوص عديدة من الكتاب المقدس، مستخدمة بمهارة شديدة ولكن

---

(١) الأب جورج فلورفسكى : الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد.

على غير حق [1].

هذا وقد فهم أن المعرفة الصحيحة والدقيقة عن الله لا تُكتسب بترتيب آيات الكتاب المقدس في صف واحد معاً و لكن بالسماح لفكرنا بأن يتشكل وأن يتحدد بالحق الإلهي الذي توجهنا إليه هذه الآيات .لأن اعتبار تعبيرات الكتاب المقدس بأنها تأكيدات إلهية ، لا يعنى أنه يسهُل إدراكها وفهمها على الفور ولكن يعنى أنها يجب أن تفسر في ضوء الحق ، هذا ما يتفق عليه الجميع .

+ ق. أثناسيوس ومجال الإيمان :

للقديس أثناسيوس قاعدة في تفسير الكتاب المقدس يسميها "مجال الإيمان" وقد تكرر هذا التعبير كثيراً في كتاباته [علينا نحن الذين نملك مجال الإيمان أن نجد المعنى الصحيح لنصوص الكتاب] ضد أريوس ٣: ٣٥ وعندما يكتب إلى سرابيون عن الروح القدس يقول عن الاريوسيين

---

(١) يمكن قراءه كتاب هل تجوز رسامة المرأة : حيث تداول الأمر أثنى عشر قساً من قسوس الكنيسة الإنجيلية وطرح كل منهم رأيه الذي قدمه مسنوداً بأدلة من الكتاب المقدس .وكان لكل منهم رأيه الخاص غير آراء الآخرين . أو قضية الزواج المثلى بين المؤيدين والمعارضين في الكنيسة الانجيليكانية كما عرضها القس جون ستوت في كتابه قضايا مسيحية معاصرة .

[أخطأوا تماماً في إدراك مجال الأسفار المقدسة] ٢: ٧ فماذا قصد أثناسيوس بتعبيره مجال الإيمان؟ واضح أن مجال الأيمان في كتاباته ليس مجرد رؤية ذاتية في عقل المؤمنين بل هو الإعلان الإلهي الذي نراه بوضوح في الأسفار ، الصورة الواضحة أو النموذج الذي على أساسه يجب أن نفهم الأسفار المقدسة هو : جوهر أو قلب الأسفار ، هو التسليم [هذا التسليم وحده هو الذي يجعل الإنسان قادراً على مواجهة الهراطقه ورفض التفسير المنحرف] (١) ضد أريوس١: ٤٤ هذا ما يشرحه ق. باسيليوس الكبير أيضاً بقوله [أن الفرق بين المؤمنين والهراطقه هو أن الهراطقه يطلبون البراهين من الكتاب المقدس ويرفضون تسليم الآباء غير المكتوب] الروح القدس ١٠: ٢٥ وتسليم الآباء في نظر ق.باسيليوس هو [ترتيب الكنيسة] ١٦: ٣٩ (٢).

+ العلامة اوريجانوس :

نادى بأن الألقاب والمصطلحات البشرية الموجودة في الوحي الإلهي في الكتاب المقدس تحكمها طبيعة الحقائق

---

(١) أثناسيوس الرسولى : ضد اريوس .

(٢) ق. باسليوس الكبير : الروح القدس .

φυσει التي تدل عليها هذه المصطلحات .وليس مجرد إنها متصلة بها فقط بصورة تقليدية θυσει ومن هنا فإن هذه المصطلحات ينبغي أن تُفهم من خلال القبول الإيماني لما تفرضه καταληπτικος تلك الحقائق على عقل المفسر (١) فالمصطلح لا يفهم فقط على ضوء معناه اللفظي أو الاستخدام اللغوي له في أزمنة وكتابات معينة .إنما يُفهم من خلال الإيمان الثابت في الكنيسة .

وأشهر الألفاظ المستخدمة في الإيمان المسيحي لفظة الـ λογος وهى لفظة كتابية كنسية يتفق الجميع في أنها لفظة تعلن لاهوت السيد ، ولكن حسب ما أورده كتاب فلسفة اللوغس (٢) أن الـ λογος كان لها اكثر من معنى على مر العصور فقد استخدمها كل مفكر بمعنى يختلف عن الآخر :-

- فهي عند هيراقليتس (٥٤٠ – ٤٧٥)ق.م بمعنى المبدأ الأول

---

(١) توماس ف. تورانس : الإيمان بالثالوث في الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى .

(٢) راجع د/ رشدى حنا عبد السيد . فلسفة اللوغس . الجزء الأول من رسالة الدكتوراه .

، والقانون الذاتي الذي يدبر العالم والنار الأصلية التي صدر عنها الكون .

- وعند أفلاطون (٤٢٧- ٣٤٧) ق .م جاءت بمعنى الحوار والجدل.

- وارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢) ق.م بمعنى المنطق .

- وعند فيلو الإسكندري (٣٠ ق.م – ٥٠م) وصفه باعتباره الكائن المتوسط بين الله والعالم .

- وعند افلوطين (٢٠٥ – ٢٧٠)م هو كائن من الكائنات المعقولة التي تصدر من العقل الكلى . وما نقوله عن اللوغس نقوله أيضا على أغلب المفردات المستخدمة في شرح إيماننا المسيحي .

وهكذا تبدو المهمة الموضوعة على الكاتب الكنسي المؤتمن على وديعة الإيمان صعبة ، فيتحتم عليه أولاً البحث عن الحق المُسلم به في الكنيسة وعن الرؤيا الإيمانية الكاملة له ، لا عن عبارات وألفاظ متناثرة . كما يهتم أيضا بأن يصوغ ما أدركه وما يريد أن يقوله للقارئ بطريقة واضحة وسليمة.

فالالتزام الكنسيّ : التزام بالحق الإلهي المستقر في الكنيسة وليس فقط التزاماً بعبارات الكتاب مرتبة ترتيباً خاصاً ، فاقدة الرؤية المسيحية ،ولا هو التزام بالحفاظ على تعبيرات ومصطلحات يمكن أن توجه إلى معنى غريب(١).

منذ بداية العصر الرسولى دخل حظيرة الإيمان كثير من العناصر اليهودية المتعصبة . وحاولوا فرض يهوديتهم على الإيمان المسيحي، فبدأ هؤلاء المقاومة والتشكيك في جوهر الإيمان بالمسيح ، ومن الجانب الآخر كان هناك محاولة للتحرر من الناموس القديم فلهذا أضطر الآباء الرسل لعقد أول مجمع في تاريخ الكنيسة لتوضيح وتقنين الإيمان المسيحي(أع ١٥).

وعلى نفس النمط ولكن في أزمنة لاحقة بعد انقضاء

---

(١) مثل عبارة (مكملاً رئاسة الكهنوت المقدسة) الواردة في اوشية الآباء في القداس. فيستنتج منها أحدهم أن الأسقف رئيس لسر الكهنوت ، راجع كتاب [رئاسة كهنوت البابا البطريرك والأب الأسقف حسب ط ثموس وليتورجيات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها الرسولية المستفرة] ص (٢٥) إذ يقول [إن الأساقفة هم رؤساء لسر الكهنوت] بينما المعنى المقصود من عبارة القداس عن الأسقف أنه [مكملاً خدمة رئاسة الكهنوت المقدسة التي للمسيح] إذ له المجد هو واجد سر الكهنوت ومُنشئه .فالسيد هو رئيس الإيمان ورئيس الأسرار ، ونحن الكهنة (أساقفة وقسوس) خدام للأسرار ، **وقطعاً لسنا رؤساء لأسرار الكنيسة.**

زمن الاضطهاد الرسمي للكنيسة ، وقد بدأت أفواج الوثنيين تدخل الكنيسة حاملين معهم ثقافاتهم الفلسفية الوثنية ومصطلحاتهم الخاصة بهم . هنا بدأ الخطر الأكبر في "تهّلن" المسيحية واختلاطها بالفلسفات المعاصرة.

ولا يخفى على أحد أن الإنجيل دُوّن باللغة اليونانية ،كما عبّرت الكنيسة الأولى عن عباداتها وتعاليمها بألفاظ وأنماط الفكر اليوناني ،وحسب ادولف هارناك [برز القديس اثناسيوس الرسولى الذي يرجع إليه الفضل بصورة كبيرة في تنقية المعاني من الاختلاط بالهلينية وهو وإن كان قد استفاد من أشكال ومفردات الكتابة اليونانية إلا انه قام بتغيير هذه الأفكار بصورة جذرية وجعلها أدوات صالحة لنقل العقائد والمفاهيم المسيحية التي كانت غريبة تماماً عن الهلينية] ، وكما فعل المعلم العظيم أثناسيوس فعل أيضا آباء الكنيسة في شرحهم للإيمان المسيحي ، عندما فهموا الحق الإلهي بصورة سليمة تماماً ، وفهموا أيضا الثقافة المحيطة بهم ، وبالدقة الشديدة مع التقوى والحرية في التعبير ، استطاعوا أن يقدموا الحق المسيحي نقياً ويحفظوه كما قبلوه وإن كان بمفردات مختلفة.

والتزام الآباء ليس فقط التزاماً بالتفكير السليم ،بل كان أيضا بمثابرة شديدة في شرحه وتوضيحه ،في جهاد شديد وثبات للحفاظ عليه مهما كانت المقاومة .

ولعل نظرة سريعة لحياة القديس اثناسيوس تُبرز كيف التزم بالحق . فقد جاهد كثيراً وتحمل آلاماً عديدة من أجل ذلك . فما بين ٨ يونية ٣٢٨م يوم إقامته على كرسى مار مرقس إلى يوم نياحته ٢ مايو ٣٧٣م ، في هذه الفترة نفي ١٧سنة وستة اشهر وعشرون يوماً . خلال خمس فترات نفى بسبب : تمسكه الشديد بالحق الإلهي الذي التزم به ، كما عُقِدَ في حياته عدد كبير من المجامع التي كان لها دور كبير في غربلة الفكر وانتهت إلي حفظ وديعة الإيمان نقية وتسليمها لأجيال الكنيسة .

الباب الثالث

حرية فى الرب

" وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ ،وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ"

(٢كو ٣ : ١٧)

تساءل "اسحق لوريا" وهو أحد أصحاب مبدأ "التفسير الرمزي" ، [كيف يمكن أن يوجد عالم به الله في كل شئ؟ إذا كان الله موجود في كل ما هو محيط بنا ،إذن فليس هناك مكان للعالم ؟ وقد أجاب على ذلك بفكرة الإخلاء ، فحسب اسحق لوريا أن العمل الأول لله كان الانسحاب من نفسه وعن نفسه لكي ما يعطى مساحة يمكن للإنسان أن يوجد فيها بحرية(١)] ، ايّاً كانت تعبيرات الرواية فإن الله من يوم خلق الإنسان منحه الحرية ،حرية اختيار وفعل ، حتى لو اختار بها أدم أن يفعل الشر أو أن يتطاول على الله ، رغم كل شرور الإنسان إلا أن الله لم يندم على الحرية التي أعطاها له ولم يحرمه منه **"اُنْظُرْ .قَدْ جَعَلْتُ الْيَومَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ . وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ .... فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لَكِي تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ"**(تث ٣٠ : ١٥ . ١٩) .

---

(١) انطوان نوّى :وقائع ايام الخليقة . قراءة معاصرة لقصص التكوين.

عندما تَفتحُ الكتاب المقدس لتقرأ كلام الله ، ترى أحرف مكتوبة على ورق بلغة بشرية ، وترى هذه الكتابات معنونة بأسماء كاتبيها فتقرأ سفر يشوع ، ارميا ، دانيال ، إنجيل متى ورسائل بولس الرسول ....ولكن أين كلام الله؟ وكيف يتسنى أن نفهم ذلك؟ هكذا يتساءل كتاب لرهبنه مار جرجس الحرف(١).

الكتاب المقدس هو كلام الله الموحى به للبشر ، حسبما يشهد الكتاب عن نفسه وكقول بولس الرسول " **كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ** " (١تى ٣ :١٦) ، مُوحى به تُنطق theopneustos وهى صيغة المبنى للمجهول وتُترجم "نُفخت من الله"(٢).

والإنسان هو الذي يتقبل وحي الله كأداة لتوصيل فكره ، ولكن الإنسان ليس أداة جامدة كالقلم مثلاً ، بل هو شخص حي ، كائن مفكر حر ولم تُنزع من الكاتب حريته كإنسان مفكر ، ولكن أعطيت له قوة وإمكانية للتعبير عن كلام الله بكلام بشرى .

فكلمات الأنبياء هي كلمات الله كتعبير ثاؤفيلس الانطاكى ،وشهادة الإنجيل هي أقوال الرب ،وهى أقوال

---

(١) رهبنة مار جرجس الحرف : مدخل إلى الكتاب المقدس .

(٢) دكتور ادوار . ج . يونج : الكتاب المقدس في الميزان .

كالفضة المحصةسبع مرات في النار كقول اوريجانوس ، أو كما عبر بنيامين ب. وودفيلد قائلاً " كما يمر شعاع الشمس من الزجاج الملون من نافذة الكاتدرائية فيأتي مُصطبغاً بلون الزجاج الذي يمر منه .هكذا تكون كلمة الله ووحيه عندما تأتي إلينا خلال فكر الإنسان، فلابد أن تصطبغ بالشخصية التي تمر بها ، إلى الدرجة التي لا تتغير من أن تكون كلمة الله الصافية. فالله الذي أعطى كلمته للإنسان ترك للإنسان أن يُعبر عنها بلغته وعاداته بحرية كاملة.حتى تبدو وكأنها كلام الإنسان" .

سنة ٣١٨م نشب نزاع شديد في مدينة الإسكندرية ، اضطرمت نيرانه جداً حتى انعقد مجمع نيقية لحسم هذه المسألة في اجتماع مسكوني عام ٣٢٥م ، في هذه الفترة وبعدها كان اريوس ومن معه يقلبون كل شئ رأساً على عقب : المعاني الكتابية الثابتة والمفاهيم الإيمانية المسلمة للكنيسة من الآباء الأولين ، كل شئ كانوا يفسرونه بمفاهيم اريوس حتى التعبير الشهير μονογενης والتي تعنى حرفياً "الوحيد الجنس" (الفريد) استخدمه اريوس في رسالة منه إلى البابا الكسندروس ورد فيها هذا التعبير ولكن بمعنى غير ما تؤمن به الكنيسة فقد قال "نعترف بإله واحد ... الذي وُلِدَ قبل

الأزمنة الأزلية ابنه الوحيد μονογενης ولكن في نفس الرسالة شرح أن الابن خلق بفعل إرادة الله قبل الأزمنة وفسر γενης بمعنى الخلقة فقال "إن المسيح هو الوحيد الذي خلق من الآب مباشرة أما باقي الخليقة فخلقت بالابن(١) " .

أمام هذه الحكمة الشيطانية ، منح الله ق.اثناسيوس حكمة إلهية اعظم ، كي يحافظ على وديعة الإيمان نقية مقدسة . في هذه الأجواء كان لابد أن يتصرف القديس بمرونة شديدة فلا يكفى أن يضع أمامهم عبارات الكتاب الصريحة ليؤكد بها لاهوت السيد المسيح ، لأنهم كانوا يستخدمونها بمعنى مختلف ، حتى التعبيرات اللاهوتية التي سبق أن استخدمها ق.اثناسيوس من خارج الكتاب المقدس في فترة سابقة عندما رأى تفسير أنصاف الاريوسيين لها بمعنى غير ما قصد منها تركها ليستخدم غيرها .

فلكي يصف العلاقة بين اقنوم الابن والآب يستخدم تعبير ὁμοουσιος أولاً ولكن عندما أدرك أن أنصاف الاريوسيين أعطوا هذا التعبير معنى مخالف للمعنى الذي قصده اختار التعبير الآخر ὁμοοσιος حتى يحمى الحق من اقتحامات الاريوسيين ويحرسه .

---

(١) د.ميشيل بديع عبد الملك : دراسات ابائية ولاهوتية ٣ يناير ٢٠٠٠ .

وعلى حسب تعليق بانيوتيس خرستوس أن التعبيرين كانا موجودين في الكنيسة ومستخدمين لشرح علاقة الآب بالابن ، لم يتشبث ق. اثناسيوس بالتعبير ομοουσιος لكونه تعبير سبق للكنيسة أن عرفته إنما تشبث بالحق وهو في هذا يقودنا إلى حرية التعبير عن فكرنا وإيماننا ، لا التزمت و الجمود .

فإنْ جادل أحد على لفظة **"التقليد"** باعتبارها أنها غير سليمة لأنها اقرب إلى فعل المحاكاة والتقليد الخارجي مفضلاً استخدام كلمة **"التسليم"** لأنها الترجمة السليمة للكلمة اليونانية παραδοσις التي تعنى "تسليم عطية من يد إلى يد" ، وهى نفس المعنى للكلمة العبرية kible min بمعنى (قَبِلَ من دون أن ينكر تعاليم الآباء وكل ما استلمته الكنيسة) فإنه فقط يفحص المعنى اللفظي للكلمة ، ويحاول إيجاد كلمة بديله أكثر مُلائمة منها للمعنى: إن القائل بمثل هذا قطعاً لا يكون مهرطقاً ولا مبتدعاً .

+ عندما كتب القديس باسيليوس كتاب عن الروح القدس كان القصد الأساسي: الدفاع عن ألوهية الروح القدس وعن حقيقة اشتراكه في جوهر اللاهوت، وقد لاحظ علماء الأباء أن ق. باسيليوس في دفاعه هذا لم يستخدم الكلمة اليونانية المشهورة ομοουσιος التي كانت أبرز الكلمات التي

استخدمها ق. اثناسيوس وفضل أن يستخدم لفظه أخري ὁμοούσιος التي تفيد الشركة(١) في الوجود والمجد ،الأب تادرس يعقوب ملطى يقول [إن دراسة أقوال الأباء تعطى اللاهوتيين أصالة الحياة المسيحية والفكر المسيحي لكن دون جمود أو تزمت ، فالكنيسة الواحدة تؤمن بعمل الروح القدس المستمر داخل الكنيسة] وبينما يشدد على ضرورة دراسة أقوال الأباء إلا انه يقول [نحن لا نتمسك بالقديم لمجرد قدمه إنما نتمسك بروح الأباء الإيماني بالتقليد الحيّ(٢)].

نحن نثق في روعة كتابات الأباء ، ودقة وعمق معانيها التي تتلامس مع خبراتنا المعاصرة إلا إننا لا ننادى إطلاقاً بعصمة هذه الكتابات على الأقل في التعبيرات والصياغات ، لأن كل التعبيرات والصياغات في النهاية قوالب بشرية ككل مفردات اللغة القابلة للتجديد والتغيير، هذا بالإضافة إلى أن كل المفردات سواء المستخدمة في الوحي الإلهي أو في كتابات الأباء أضيق جداً من أن تسع الحق الإلهي المطلق. القديس يوحنا الحبيب عندما أُستعلن له السيد في جزيرة بطمس سقط عند رجليه كميت (رؤ١: ١٧) ، وأمام رؤيا أخرى سقط شاول الطرسوسي وعندما نهض عن الأرض كان

---

(١) القديس باسليوس الكبير الروح القدس.

(٢) الاب تادرس يعقوب ملطى : مقدمات في علم الباترولوجى .

لا يبصر أحداً (أع٩: ٨) ، وكما سقط يوحنا وشاول أمام قوة الإعلان الإلهي ، هكذا تهتز كثير من الألفاظ والمفردات أمام قوة الحق الإلهي الذي تحمله : كما تهتز عربة ضعيفة محملة بما هو فوق قدراتها ، وهذا ما يدعونا إلى أن نبحث عن "**الحق**" لا عن المعنى اللفظي للمفردات ، بل هو يدعونا أيضاً إلى تقنين الألفاظ المتداولة ، أقول تقنيين الألفاظ والمصطلحات لا تقنيين الحق الإلهي المسلم لنا ، وهنا ألفت النظر لجانب مهم في الكتابة المسيحية هو: **حرية التعبير**.

فالله خالق الكل أعطى لعبيده أن يعبروا بحرية عن فكره ومقاصده بلغة بشرية .كما أعطى حرية للكنيسة في اكتشاف اصطلاحات وصياغات غير ما دُوّن في كتابه المقدس لتصّد بها الكنيسة تيارات الهراطقة ، كما أعطى للمؤمنين حرية إنشاء الصلوات ووضع الترتيبات الطقسية للعبادة ، هذه الحرية هي المجال الخصب للتفكير السليم والكتابة ، للاستنارة والتبصر الذهني ، قال جبران خليل [إن الشجرة التي تنبت في الكهف لا تعطى ثمراً ، والبلبل لا يحوك عشاً في القفص ، وهكذا إن لم ينطلق الكاتب بفكرة إلى رحبات الحق الفسيح فلن يبدع ، إذ بدون حرية التفكير والمناقشة تتحول التعاليم إلي ألفاظ مبهمة غير مفهومة و تُصاب المعاني بالجمود وتتحول إلى ألفاظ يرددها اللسان

دون وعى أو إدراك ،ولا تغير شئ من فكر الآخر ، فالأفعى إذا سجنت في القفص لا تنقلب حمامة والعليقة إذا غرست في الكرم لا تثمر تيناً](١) فالكتابة الحرة المنضبطة ضرورة لغربلة الأفكار.

من أبرز الألقاب التي عُرف بها السيد **"المعلم"** فكان بوداعة شديدة يعلم كثيراً وكان دائماً **"يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ"** (مت ١٢: ٢٠) وكان الناس يندهشون من تعاليمه وأجوبته إلا انه كان يعلم **" لَيْسَ كَالْكَتَبَةِ "** (مت ٧ : ٢٩) .لم يتلو تلاوات محفوظة ولم يعلم بطريقة نمطية ولكنه كان يعلم بمرونة شديدة يقدم الحق بلغة الناس في قصة مرات كثيرة ، وأحياناً يعلنه خلال حوار ، وأحياناً خلال حديث خطابي ، كان يخاطب كل واحد بلغته وأسلوبه ،بصفة عامة كان يعلم بحرية .

ولم تكن هذه الحرية بدون ثمن فمراراً ما أمسكوا حجارة ليرجموه ، باعتباره مجدفاً وقبل صلبه شق رئيس الكهنة ثياب ذاته قائلاً **"قد جدف"** وطالب بيلاطس بصلبه ،وهؤلاء ليسوا من أسوأ الناس وأشرهم بل فعلوا ذلك بدوافع دينية وأدبية شديدة ، من أجل ذلك قال السيد **"يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ"** (لو ٢٣: ٣٤) وكما فعلوا بالسيد فعلوا أيضا

---

(١) جبران خليل جبران : كلمات.

بقديسيه فرجموا اسطفانوس وكان شاول الطرسوسي (بولس) بين راجميه وكان راضياً برجمه، وكان له غيره ولكن ليس حسب المعرفة.

الحرية ليس المقصود منها تحرر من السيد وتعاليمه ، بل حرية تنشأ خلال لقاء حيّ حقيقي معه وهو الذي يحققها[1] بالروح القدس وتقود إلى ارتباط قلبي وكياني لا تقطعه شدة أو ضيقة أو اضطهاد أو أي شئ ، خلال هذه الخبرة الحية نستطيع أن نفهم إيماننا ومفاهيمنا اللاهوتية ونشرحها ونصوغها بتعبيراتنا نحن ، إذ تنفك الألغاز وتتفجر الحياة من العبارات التي ظلت جامدة أمامنا لفترة.

لا يجب أن تكون التعبيرات الكنسيّة كالمعلبات سابقة التجهيز بل يجب أن تُقدم لنا مذاق العشرة الحية مع الله.

أنها حرية مستنيرة نستطيع أن نعى بها كأبناء ناضجين خبرة آبائنا القديسين وشروحاتهم اللاهوتية ، فالكنيسة ليست متحفاً للودائع الميتة أو جمعية للبحث العلمي لأن ودائعها حية كتعبير القديس ايريناؤس[2] [حينئذ نفهم العقيدة ونعى إنها خبرة حية عاشها أناس الله القديسون، وإيمان نقى تسلموه ، وصيغ بعبارات دقيقة لتكون حارساً

(١) (يو ٨ : ٣٦) .

(٢) جورج فلورفسكي : الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد.

ضد أي اقتحامات شريرة وتضبط خبراتنا نحن] .

إنها حرية مستنيرة يتحرر بها الإنسان ليس فقط من قيود الشر والخطية ، بل من الأهواء والنزعات النفسانية والفكرية ، فيتحرك المرء غير مقيد من أي قوة خارجية أو داخلية متجها نحو الحق المطلق المعلن دون اعوجاج أو غش .

حرية لا تقود إلى انفصال عن الكنيسة بل إلى التناغم الحقيقي معها ، لأن الله لم يعلن عن نفسه لأفراد منعزلين بعضهم عن بعض ،ولم يقتصر عمله على توجيه مصيرهم الشخصي ، فهو لم يأتِ إلى خراف مبعثرة بل إلى الجنس البشرى بأجمعه ، لذلك فالحرية التي يعطيني الله إياها لا تفصلني عنه وعن كنيسته ولا تقودني إلى الانكماش على الذات .

أعطى مؤرخ روسى تحديداً للصفة التي تتحلى بها خبرة الكنيسة فقال [إن الكنيسة لا تعطينا منهجاً بل مفتاحاً ، لا تعطينا خارطة لمدينة الله ، بل طريقاً لدخولها ، قد يضل المرء طريقه لانه لا يملك خارطة ، لكن إذا كان يرى كل الأمور مباشرة وبواقعية فلن يضل ، أما من درس الخارطة فقط هو يجازف بالبقاء خارجاً دون أن يجد شيئاً](١) .

---

(١) المرجع السابق عن ب. مليورنسكى : محاضرات في تاريخ الكنائس المسيحية القديمة.

المراجع

١- الكتاب المقدس .

٢- بستان الرهبان : نشر مطرانية بنى سويف

٣- القديس امبروسيوس : الروح القدس - جزء (١)

٤- القديس باسيليوس الكبير :

الروح القدس تقديم نيافة الانبا يؤانس

٥- القديس كيرلس الإسكندري :رسائل القديس كيرلس

الناشر : مؤسسة القديس انطونيوس

٦- القديس اكليمندس الاسكندرى :المربى

الناشر : دار فيلوباتيرون للترجمة والنشر

٧- رهبنة دير مار جرجس الحرف :

مدخل إلى الكتاب المقدس

٨- الأب تادرس يعقوب ملطى :

مقدمات في علم الباترولوجى

٩- انطوان نوّى : وقائع أيام الخليقة

١٠- د.رشدى حنا عبد السيد : فسلسفة اللوغس

الجزء الأول من رسالة الدكتوراه

١١- المتنيح أنبا بيمن والقمص يوسف اسعد :
الكاهن القبطي

١٢- الاب جورج فلورفسكى : الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد نقله إلى العربية الأب ميشال جحم .

١٣- توماس ف . تورانس :الإيمان بالثالوث
ترجمة دكتور عماد موريس إسكندري

١٤- د.ادوار.ج . يونج : الكتاب المقدس في الميزان

١٥- د. ميشيل بديع عبد الملك : دراسات آبائية

١٦- د. بانيوتيس خريستوس : دراسات آبائية

١٧- جان بول سارتر : ما الادب ؟
ترجمة وتقديم د. غنيمى هلال

١٨- فرنسيس فولكس : رسالة افسس
نقله إلي العربية القس أُنسى عبد الملك

١٩- آلان . م . ستبز : رسالة بطرس الأولي
نقله إلى العربية نيكلس نسيم

٢٠- دونالد جوثرى :الرسائل الرعوية
ترجمة : نيكلس نسيم

الفهرس

مقدمة ..... (٥)

الباب الأول :

النقاوة والوقار في التعليم .....(٨)

الباب الثاني :

الالتزام الكنسيّ ..... (٢٣)

الباب الثالث :

حرية فى الرب .....(٣٦)

المراجع ..... (٤٦)

مِنْهُ أَجْلِ ذلِكَ كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ
فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً
رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْهُ كَنْزِهِ جُدُدًا وَعُتَقَاءَ.

متى (١٣: ٥٢)